

التعبير القرآني

م.م. فاطمة تركي



القرآن الكريم معجزة النبي وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يتحمل العرب شرف الرسالة، فبلغها بلسان عربي مبين إلى نبيه العرب (نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)، وحجة إنزاله بلسان عربي مبين من وجهين :

الأول : أنه لو كان إنزاله بلسان أعجمي لتجافي العرب عنه أصلاً، ولقالوا: ما نصنع به لأننا لا نفهمه، فيتعذر الإنذار به.

الثاني : أن تنزيله بالعربية التي هي لسان محمد ولسان قومه - تنزيل له على قلب محمد لأنه يفهمه، ويفهمه قومه، ولو كان أعجمياً لكان نازلاً على سمعه دون قلبه، لأنه يسمع أجراس حروف لا يفهم معانيها ولا يعيها، والمعنى: إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين، فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته.

لقد تحدى القرآن العرب ثم جميع الخلق بأن يأتوا بمثله ثم أخبر أنهم لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. فقد تحداهم أولاً بأن يأتوا بعشر سور مثله إن كانوا يرون أنه مفترى فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَّتْهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ [هود].

فلما انقطعوا وقامت الحجة عليهم تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله وأخبر أنهم لن يفعلوا فانقطعوا أيضاً وقامت الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ [البقرة]

وأكد التحدي بقوله: قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا [الإسراء]

دعا القرآن العرب إلى أن يأتوا بسورة من مثله ويشمل هذا التحدي قصار السور كما يشمل طوالها فهو تحداهم بسورة الكوثر والإخلاص والمعوذتين والنصر ولإيلاف قريش أو أية سورة يختارونها، ومن المعلوم أن العرب لم يحاولوا أن يفعلوا ذاك فقد كانوا يعلمون عجزهم عنه، ورأوا أن سبيل الحرب والدماء وتجميع الأحزاب أيسر عليهم من مقابلة تحدي القرآن. ومن الثابت أن القرآن الكريم كان يأخذهم بروعة بيانه وأنهم لا يملكون أنفسهم عن سماعه ولذلك سعوا إلى أن يحولوا بين القرآن وأسماع الناس. سعوا إلى أن لا يصل إلى الأذن لأنهم يعلمون أن مجرد وصوله إلى السمع يُخَدِّثُ في النفس دَوِيًّا هائلاً وهزة عنيفة وقد حكى الله

عنهم هذا الأسلوب. فقال ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا (الْقُرْآنِ) وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ

إن التعبير القرآني تعبير فني مقصود. كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعاً فنياً مقصوداً، ولم تُراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله

لقد انتبه القدماء إلى أن السور التي بدأت بالحروف المفردة بنيت على ذلك الحرف، فإن الكلمات القافية ترددت في سورة (ق) كثيراً والكلمات الصادية ترددت في سورة (ص) كثيراً وهكذا.

جاء في (ملاك التأويل) عن سبب بدء سورة (لقمان) بـ (ألم) وسورة يونس بـ (ألر): «أنه تكرر في سورة يونس من الكلام الواقع فيها الراء مائتا كلمة وعشرون كلمة أو نحوها. وأقرب السور إليها مما يليها بعدها من غير المفتحة بالحروف المقطعة سورة النحل وهي أطول منها. والوارد فيها مما تركب على الراء من كلمها مائتا كلمة مع زيادتها في الطول عليها» فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته لقد تبين أنه لم توضع الألفاظ عبثاً ولا من غير حساب، بل هي موضوعة وضعاً دقيقاً بحساب دقيق دقيق.

لقد تبين :

أن (الدنيا) تكررت في القرآن الكريم بقدر (الآخرة) فقد تكرر كل منهما ١١٥ مرة .
وأن (الملائكة) تكررت بقدر (الشياطين) فقد تكرر كل منهما ٨٨ مرة .
وأن (الموت) ومشتقاته تكرر بقدر (الحياة) فقد تكرر كل منهما ١٤٥ مرة . وهل الموت إلا للأحياء؟
وأن (الصيف) والحر تكرر بقدر لفظ (الشتاء والبرد) فقد تكرر كل منهما خمس مرات .
وأن لفظ (السيئات) ومشتقاتها تكرر بقدر لفظ (الصالحات) ومشتقاتها فقد تكرر كل منهما ١٦٧ مرة .
وأن لفظ (الكفر) تكرر بقدر لفظ (الإيمان) فقد تكرر كل منهما ١٧ مرة .
وتكرر لفظ (كفرا) بقدر لفظ (إيماناً) فقد تكرر كل منهما ثماني مرات .
وأنه تكرر ذكر (إبليس) بقدر لفظ الاستعاذة فقد تكرر كل منهما ١١ مرة .
وأن ذكر (الكافرين) تكرر بنفس عدد النار. وهل النار إلا للكافرين؟
وأن ذكر (الحرب) تكرر بعدد الأسرى (٢) . وهل الأسرى إلا من أوزار الحرب .
وأن لفظ (قالوا) تكرر ٣٣٢ مرة ومن عجب أن يتساوى هذا مع لفظ (قل) الذي هو أمر من الله إلى خلقه ،
« ف سبحان من قال (قل) ، ٣٣٢ مرة فكان القول ٣٣٢ مرة .
وأن لفظ (اليوم) تكرر ٣٦٥ مرة بعدد أيام السنة
وأن لفظ (الأيام) تكرر ٣٠ مرة بعدد أيام الشهر

ثم إن القرآن له خصوصيات في استعمال الألفاظ : فقد اختص كثيراً من الألفاظ باستعمالات خاصة به مما يدل على القصد الواضح في التعبير فمن ذلك أنه :

استعمل (الرياح) حيث وردت في القرآن الكريم في الخير والرحمة واستعمل (الريح) في الشر والعقوبات قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) وقال : ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ

في حين قال كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ

.وقال : رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ . وقال فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ مَّانِيَةٍ وغير ذلك وغيره

ولم يستعمل الريح في الخير إلا في موطن واحد أعقبها بالشر وهو قوله تعالى : ﴿ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَينَ بِهِمْ بِرِيحٍ

. طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا . جَاءَتْ رِيحٌ . عَوُّ يَصِفُ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ [يونس] وهي خاتمة غير حميدة

لان : الرياح المتعددة والمتناغمة تسهم في استقرار البيئة (مثل تلقيح النباتات وحركة السحب)، بينما الريح الواحدة

.القوية (مثل العواصف والأعاصير) غالبًا ما تكون مدمرة

ومن الناحية البلاغية، استخدام صيغة الجمع يعطي شعورًا بالرحمة واللفظ، بينما صيغة المفرد تصفي شعورًا بالقوة

والهيبة التي تثير الخوف

ومن ذلك ذكر المطر فإنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام» بخلاف الغيث الذي يذكره القرآن في الخير. قال تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴾. وقال: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾. وقال: وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْتُ مَطَرًا السَّوَاءِ ﴿ [الفرقان].

في حين قال ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ وقال: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ لان المطر: يُستخدم في اللغة العربية للإشارة إلى نزول الماء من السماء بغض النظر عن سياقه. لكن في القرآن، غالبًا ما يرتبط المطر بالجانب السلبي كالضرر أو العذاب.

الغيث: يُستخدم للإشارة إلى المطر الذي يأتي كإغاثة ورحمة في وقت الحاجة. كلمة "الغيث" ترتبط بالفرج بعد الشدة، ولذلك تحمل معنى إيجابيًا دائمًا.

ومن ذلك ما اختص به القرآن الكريم في استعمال العيون والأعين. فلم يستعمل العيون إلا لعيون الماء. وقد وردت كلمة (العيون) في القرآن الكريم في عشرة مواطن كلها بمعنى عيون الماء من مثل قوله تعالى: فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ [الحجر] وقوله: ﴿ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴾ [المرسلات].

في حين جمع العين الباصرة على أعين مثل قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَظَاءٍ عَنْ ذِكْرِي [الكهف] وقوله: سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ [الأعراف] وقوله: تَرَى أَغْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ [المائدة].

لان "الأعين" تشير إلى العين كعضو مادي نستخدمه للرؤية. اما "العيون" تشير إلى الأشياء التي تفيض أو تتدفق، مثل عيون الماء، أو تُستخدم لمعاني أعمق كالجمال أو النعمة.

مفهوم التعبير القرآني

يُقصد بالتعبير القرآني الأسلوب الذي جاء به القرآن الكريم، والذي يجمع بين دقة اختيار الألفاظ، وسلاسة تراكيب الجمل، وحسن النسق، وتناسق المعاني بأسلوب معجز لا يضاهى. فالكلمات القرآنية تأتي في مواضعها المناسبة دون زيادة أو نقصان، لتؤدي معناها الكامل بأقل عدد من الكلمات، مع المحافظة على التأثير العاطفي والروحي العميق في المتلقي. لقد اختار الله تعالى اللغة العربية لغةً للقرآن لما تتميز به من سعة الألفاظ، ومرونة الأساليب، وقوة التعبير. فجاء التعبير القرآني محكمًا ليشمل مختلف أنماط الخطاب، كالأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب، والمواعظ، والتشريعات، وقصص السابقين. يقول الله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"



خصائص التعبير القرآني : إن من أبرز السمات التي تميز التعبير القرآني عن غيره من الأساليب اللغوية ما يلي:

الإيجاز والإعجاز 1.

التعبير القرآني يتميز بالإيجاز المعجز، حيث تختزل الألفاظ المعاني الواسعة بطريقة

مدهشة. فنجد أن آية واحدة تحمل في طياتها أحكامًا عظيمة، كما في قوله تعالى

"*وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

فهذه الآية تختصر مبادئ العدل، وتؤكد على قيمة الحياة، بأسلوب موجز ومؤثر



2. التكرار الهادف

التكرار في القرآن الكريم ليس مجرد إعادة، بل هو أسلوب بلاغي لتأكيد المعنى أو لإيصال رسالة معينة بأساليب متنوعة تناسب المقام والسياق. من ذلك تكرار الآية:

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (الرحمن)

فالتكرار هنا يأتي كتذكير بالنعم المتعددة، مما يرسخ الفكرة في ذهن المتلقي.



3. التوازن الصوتي والإيقاعي

التنسيق القرآني وتناسق الجمل يجعل التلاوة مريحة للأذن ومؤثرة في القلب، حيث تنتظم الحروف والكلمات بانسجام رائع، مما يسهم في إيصال الرسالة بشكل أعمق.

التصوير البياني والتشبيه. 4 .

تكثر في التعبير القرآني الصور البيانية والتشبيهات التي تجعل المعاني أقرب وأوضح في أذهان السامعين. ومن أروع الأمثلة على ذلك قوله تعالى:

"مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ" فهذا التشبيه الرائع يصور الجزاء المضاعف لمن ينفق في سبيل الله، حيث تصبح صورة البذرة التي تنمو إلى مئات الحبوب ماثلة أمام الأعين.

5. الاستعارة والمجاز

يستخدم التعبير القرآني الاستعارات والمجازات التي تضيف عمقًا وجمالًا على النص. كما في قوله تعالى: "وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ" * (الإسراء: 24)

فالاستعارة هنا تعبر عن التواضع والاحترام تجاه الوالدين بطريقة بليغة.

أثر التعبير القرآني في النفوس
إن لجمال التعبير القرآني أثراً بالغاً في قلوب الناس
فهو يخاطب كل مستويات الإدراك؛ فيتفاعل معه
العالم والمتعلم، الكبير والصغير. ومن أبرز آثاره ما يلي

تأثيره في القلوب والمشاعر 1.

القرآن الكريم يجمع بين الترغيب والترهيب، فيزرع الأمل في النفوس حيناً، ويثير الخوف حيناً
آخر، مما يدفع الإنسان للسير على طريق الحق

التأثير على السلوك والتصرفات 2.

من خلال أسلوبه المؤثر في النصح والتوجيه، يوجه التعبير القرآني الإنسان نحو الفضائل، مثل
الصدق، والصبر، والتقوى

التأثير العقلي والفكري 3.

يحث التعبير القرآني الإنسان على التفكير والتدبر، كما في قوله تعالى

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" (محمد: 24)

كيف نتدبر جمال التعبير القرآني؟

التأمل في المفردات القرآنية 1.

فهم مدلولات الكلمات واستخداماتها في سياقاتها المختلفة -

الاطلاع على كتب التفسير 2.

مثل تفسير الطبري، وابن كثير، والقرطبي، لفهم أسباب النزول والمعاني -
العميقة.

الاستماع للتلاوات المتقنة 3.

حيث تساعد التلاوة الصحيحة على إدراك التناسق الصوتي والتأثير الروحي -

تطبيق معاني القرآن في الحياة اليومية 4.

فالتدبر الحقيقي يتمثل في ترجمة المعاني إلى أفعال وسلوكيات -

ومن دقة التعبير القرآني أن كلام الله تعالى كلام اللطيف
الخبير، فما معنى قوله: (إن الله لا يحب الظالمين)؟ بمعنى
يكره الظالمين، لكنه سبحانه لا يستخدم لفظ يكره حتى مع
الكافرين، فهناك فرق في أسلوب الخطاب بين أن تقول لا
يحب أو يكره، فمعنى صيغة لا يحب الظالمين أنه يفتح
أمامهم المجال أنهم لو تخلوا عن صفة الظلم هذه، لأحبهم
الله تعالى. وهذا من باب رحمة الله تعالى بالناس أجمعين.
أما صيغة يكره فهي تسد الأبواب وتغلقها أمام الظالمين.
كان الله تعالى يوجه خطابه إلى الظالمين أو الكافرين أو
غيرهم أنه يا من فيه صفة من هذه الصفات التي لا يحبها
الله تعالى، تخلوا عن هذه الصفات حتى أحبكم، وكأنه
سبحانه وتعالى يفتح الباب أمام الناس حتى يشملهم حبه
تعالى.



*Thank
You*

